

الْأَرْكَانُ مَعَ صَلَاتِ الْيَتِيمِ

تأليف

أبو حذيفة
أبراهيم بن محمد

الشيخ
محمد مجاهد زين العابدين

تم تخريج الأحاديث
بمعرفة الدار

دار الصحابة للتراث بطنطا

تَجَافُ قَدَحَى دُرَّرًا بِعَيْنٍ نَحْنِ مَحْفُوظَةٌ
لِهَذَا قُلْتُ تَنْبِيهًا
حَقُّوقِ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

لدار الصَّحَائِفِ لِلنَّشْرِ بِطَنْطَا

لِلنَّشْرِ - وَالتَّحْقِيقِ - وَالتَّوْزِيعِ

المُرَاسَلَاتُ:

طَنْطَاشِ الْمَدِيرَةِ - أَمَامَ مَحْطَةِ بَنْزِينَ التَّعَاوُنِ

ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (*) .

وقال جل شأنه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (**) .

وقال عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (***) .

(*) سورة آل عمران : الآية : ١٠٢ .

(**) سورة النساء : الآية : ١ .

(***) سورة الأحزاب : الآية : ٧٠ ، ٧١ .

أما بعد ...

فهذه الرسالة التى بين يديك - أخى القارىء - تتناول موضوعاً من الموضوعات التى غفل عنها كثير من الناس ، وتذكرهم بسنن تناسوها مع ما فيها من صلاحهم وفلاحهم .

فهى تحدثهم عن اليتيم :

من هو ؟ وهل هو الذى فقد أحد أبويه أو كليهما ؟ وما فضل رعايته ؟

وما نظرة الشارع إليه ؟ وما مدى تكافل المجتمع فى سبيل رعايته ؟

وما هى الآداب التى يجب أن تُتبع فى معاملة اليتيم ؟

وقد اعتمدنا فى إخراج هذه الرسالة - كما هو دأبنا - على أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وتعتبر هذه الرسالة ضمن سلسلة الآداب التى بدأنا بنشرها منذ سنوات وندعو الله أن يتمها علينا . آمين آمين آمين .

والله من وراء القصد ..

مقدمة

اليتيم هو طفل اليوم ورجل الغد ، وإذا كانت سلوكيات كل إنسان أسيرة توجيهات وُجّة بها في صغره ، فيجب علينا أن نحيط هذا اليتيم بمزيد من الاهتمام والعناية . فإن اليتيم إذا أخذ حظه من التربية الطيبة والتوجيه السديد كان له الأثر الطيب في المجتمع ، وإذا أهمل هذا اليتيم في صغره ونشأ تنشئة سيئة فإنه يكون خطراً على مجتمعه ، ولذلك فقد اهتم القرآن الكريم مكّيه ومدنيه بالوصية باليتيم ، من حيث تربيته ، وحسن معاملته ، والمحافظة على ماله ، وعدم امتداد الأيدي إليه إلا بالخير ، وجاءت السنة مؤكدة ومبينة ومفصلة لما جاء في القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم والسنة لم يتركا شيئاً دقيقاً يتعلق بأمر اليتيم إلا وبيناه حتى إنهما لم يتركا استدراكاً لأى مستدرك ، ولقد سبق القرآن بذلك كل العلوم الإنسانية الحديثة التى لم تأت إلا بقليل من كثير وغيض من فيض ، وذرة من جبل ، وأين التعاليم المبتورة القاصرة بجانب تعاليم الحكيم الخبير الذى ما فرط في الكتاب من شئ ، فإلى كتاب الله نستقى منه كل تعاليمنا وكل أمور حياتنا ، وفقنا الله للأخذ بكتابه وسنة رسوله والله ولى التوفيق ..

[من هو اليتيم ؟]

هو الصغير الفاقد الأب من الإنسان .

والأم من الحيوان ، وكل فرد يَعزُّ نظيره يقال : بيت من الشعر يتيم مفرد لا نظير له ، وجمعه أيتام ويتامى . فاليتيم من فقد أباه ذكراً أو أنثى مأخوذ من اليتيم وهو الانفراد .

ونظراً لأهمية أمر اليتيم فقد ورد لفظ اليتيم بتصريفاته المختلفة في القرآن الكريم ..

[اليتيم - يتيماً - يتيمين - اليتامى] ثلاثة وعشرون مرة ، سبعة عشرة مرة في الآيات المدنية ، وستة مرات في الآيات المكية واليتيم سواء أكان فقيراً أم غنياً فهو في حاجة إلى رعاية من ناحيتين :-

١ - الناحية النفسية التربوية :

كل تعاليم الإسلام حاثّة على معاملة اليتيم معاملة طيبة ، مراعاة لنفسيته ، لأنه حين فقد أباه شعر بالحاجة إلى من يحميه ، ويقوى عزيمته ؛ فقد أصابه شيء من الذل والانكسار ، وقد كان يجد في أبيه داعياً حانياً ملبياً لما يريد ، فلما فقدّه وأحس بذهابه شعر بالوحشة فكان لابد من تعويضه لئلا ينشأ مريضاً منطوياً منعزلاً ، سيء النظرة للناس ، وربما أدى ذلك إلى انحرافه إلى طريق الجريمة والإجرام . وجاء الإسلام وعالج هذه النقطة كما سياتى .

٢ - من الناحية المادية :

فقد جعل الإسلام إطعام اليتيم وكفالاته وكسوته من أعظم القربات إلى الله تعالى ، فقال ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا »^(١) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا .

لقد اهتم القرآن الكريم بشأن اليتيم سواء في العصر المكي أو في العصر المدني حتى المواثيق التي أخذها الله على بعض الأمم السابقة ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(٢) .

[تربية اليتيم نفسياً]

وللقرآن الكريم عناية باليتيم لصغره وعجزه عن القيام بمصالحه التي تحفظ له حسن الحياة في المستقبل وتقى الأمة شر الفرد الذي يحيق بها من عدم تربيته لفقده الأب الذي يكفله ويهذه ويرعاه .

وقد ظهرت هذه العناية في القرآن منذ الفترة الأولى حين بدأ الوحي إلى الفترة الأخيرة حين قارب الوحي التمام والكمال ، ظهرت في مكى القرآن حينما عاد الوحي إلى رسول ﷺ ، بعد انقطاعه مدة طال فيها على الرسول انتظاره حتى توجس في نفسه أن يكون الله قد ودعه وقلاه ، فجاءه الوحي مؤكداً له رعاية الله إياه وأنه ما ودعه وما قلاه ، وأخذ يثبت ذلك في نفسه ، ويذكره بعناية الله به قبل النبوة ، وهو يتيم أحوج ما يكون إلى العطف والإيواء : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾^(٣) . وبذلك أشعر قلبه من أول الأمر بأن اليتيم الذي ذاق مرارته ينبغي أن

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٦٨/٧ ، ١٠/٨) عن سهل مرفوعاً بلفظه ومسلم ٢٩٨٣/ عبد الباقي ، وأبو داود (٥١٥٠) ، والترمذى (١٩١٨) ، أحمد (٣٣/٥) ، ومالك (٩٤٨/٢) ، والحميدى (٨٣٨ ، ٨٣٩) ، والبيهقى (٢٨٣/٦) .

(٢) سورة البقرة : الآية : ٨٣ .

(٣) سورة الضحى : الآية : ٦ .

يكون باعثاً على العطف على اليتيم ، والنظر إليه بعين الرحمة ، والعمل على إيوائه وتكريمه ، ثم يطلب منه شكر الله على نعمته التي أنعم بها عليه ، حين وجده يتيماً فأوى ، وأن يكون ذلك الشكر من نوع هذه النعمة عظماً على اليتيم ، كما أنعم الله عليه بالعطف وهو يتيم : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (٤) ، وإن رسالة تؤسس على رعاية مثل هذه الاعتبارات لرسالة الرحمة العامة والخير العميم (٥) . ا.هـ .

[معاملة اليتيم] « من الناحية المادية »

وكما أمر القرآن الكريم ، بالاهتمام بشخص اليتيم أمر بالاهتمام به أيضاً من حيث المحافظة على ماله حتى يصل إلى سن البلوغ ، يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٦) .

في هذه الآية الكريمة نجد أن رب العزة يأمرنا بأشياء فيها مصلحة اليتيم وينهانا عن أشياء لأن فيها مضرة اليتيم وضياح له أما الأوامر فهي :

١ - اختيار الولي لليتيم بعد البلوغ والتأكد من قوته العقلية وسلامة التصرفات المالية .

٢ - دفع المال إلى اليتيم إذا لمس الإنسان من أحواله حسن التصرف في المال وعدم إضاعته وإتلافه وذلك بعد التجارب العديدة .

(٤) سورة الضحى : الآية : ٩ .

(٥) الشيخ محمود شلتوت في تفسير العشرة الأجزاء الأولى ١٧٧-١٧٨ ، ط دار العلم .

(٦) سورة النساء : الآية : ٦ .

٣ - إن الوصى إما أن يكون غنياً أو يكون فقيراً فإن كان غنياً فعليه أن يتعفف عن الأخذ من مال اليتيم ، وإن كان فقيراً فله أن يأكل من هذا المال بالمعروف ، واختلف في الأكل بالمعروف ، فقيل : يقترض من هذا المال فإن وجد ميسرة رد ما أخذ ، وهذا قول عمر بن الخطاب وقال به سعيد بن جبير أيضاً ، غير أن سعيد بن جبير زاد شيئاً في ذلك فقال : إذا حضر الوصى الموت ولم يستطع سداد ما أخذ ، فإنه يتحلل من اليتيم إن كان بالغاً فإن لم يكن بالغاً تحلل من الوصى الذى يأتي بعده ، « والأكل بالمعروف هو ما يسد الجوعة ويستر العورة » وقالت عائشة رضى الله عنها : « يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ، ولا قضاء عليه » وقول عائشة رضى الله عنها هو الذى أميل إليه لأنه يؤيده الحديث المرفوع أن ابن عمر سأل النبى ﷺ ، قائلاً : ليس لى مال وإنى ولئى يتيم فقال النبى ﷺ : « كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متائل مالا ومن غير أن تقى مالك بماله » (٧) .

٤ - الإشهاد عند دفع المال إلى اليتيم بعد البلوغ وذلك لئلا يتهم الإنسان أنه اقتطع من هذا المال لنفسه وكما ورد ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم » . وهذا الإشهاد واجب كما هو ظاهر الأمر وعليه الشافعية والمالكية وقالت الحنفية : إنه غير واجب بل مندوب .

هذه الأوامر التى وردت فى الآية الكريمة ، أما النواهى فهى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوْهَا إِسْرَافًا وَبَدَارًا أَنْ يَكْبُرُوْا ﴾ (٥) : أى ولا تأكلوا أموال اليتامى مسرفين فى الإنفاق منها ولا مبادرين كبيرهم إليها أى متعجلين فى الإسراف قبل أن يكبر اليتيم ويأخذ ماله منكم . وقد قيد (٨) النهى هنا بالإسراف وهو صرف مال اليتيم فى غير محله ولو على اليتيم نفسه وسمى هذا أكلاً لأنه إضاعة والأكل يطلق على إضاعة الشيء » ا.هـ ، وفى هذه الآية وعيد أيضاً ختمت به الآية . قوله تعالى :

(٧) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (٢٨٧٢) ، والنسائى (٣٦٦٨) ، وابن ماجه (٢٧١٨) ، وأحمد (١٨٦/٢) ، والبيهقى (٢٨٤/٦) عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً . وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه للألبانى برقم (٢١٩٨) .

(*) سورة النساء : الآية (٦) .

(٨) تفسير المنار ٣٢١/٤ - ط. الهيئة .

﴿ وَكَفَى بِاللّٰهِ حَسِيبًا ﴾ . أى وكفى بالله رقيباً عليكم وشهيداً يحاسبكم على ما أظهرتم وما أسررتم .

ويقول الشيخ محمد عبده « الحسيب هو المراقب المطلع على ما يعمل العامل وإنما جاء بهذا بدع الأمر بالإشهاد القاطع لعرق النزاع ليدلنا على أن الإشهاد ، وإن حصل وكان يسقط الدعوى عند القاضى بالمال . لا يسقط الحق عند الله إذا كان الولي خائناً إذ لا يخفى عليه تعالى ما يخفى على الشهود والحكام ثم يقول : « وقد نص الفقهاء على أن النظر على الوقف كالوصاية على اليتيم فانظروا إلى هذه الدقة فى الآية الكريمة من الأمر باختبار اليتيم ودفع ماله إليه عند بلوغه رشده ، ومن النهى عن أكل شيء منه بطرق الإسراف ، ومن الأمر بالإشهاد عليه عند الدفع ثم التنبيه إلى مراقبة الله التى تتناول جميع ذلك » اهـ من تفسير المنار .

[الاتجار فى أموال اليتامى والزكاة فيها]

تحت هذا العنوان يقول د/ محمد عزمى فى كتابه : « الرعاية الاجتماعية لليتامى فى ظل الإسلام » ص ١٠ . وصيانة أموال اليتامى حتى يبلغوا رشدهم تستلزم تشغيلها ، والاتجار فيها ، حتى تنمو وتزاد ، ولا تخضع للتناقص وهبوط قيمتها ، فعن أنس بن مالك أنه بلغه أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تعطى أموال اليتامى من يتجر فيها .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اتجروا فى أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة » (٩) .

والاتجار فى أموال اليتامى أو تشغيلها يجب أن لا يكون فى محرّم ولا دنس للإبقاء على المال نقياً طاهراً وحتى لا تستخدم أموال المسلمين فيما لا يقبله الدين

(٨) سورة النساء : الآية (٦) .

(٩) حديث ضعيف . أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦٧/٣) وعزاه للطبرانى فى الأوسط والصغير ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير برقم (٨٧) .

الإسلامي الخفيف مثال ذلك الاتجار في الخمر فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال إني اشتريت خمرأ وأيتام في حجرى قال أهرقها واكسر الدنان » .

عن أنى طلحة رضى الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : يا نبي الله إني اشتريت خمرأ لأيتام في حجرى فقال : « اهرق الخمر واكسر الدنان » (*) .

قال الترمذى وقد روى عن أنس أن أبا طلحة كان عنده خمر للأيتام وهو الأصح ، ورواية أبوداود أن أبا طلحة سأل النبي ﷺ ، عن أيتام ورثوا خمرأ فقال أهرقها قال ألا أجعلها خلا قال لا (١٠) .

وكذلك شرع إخراج الزكاة والصدقة من أموال اليتامي تطهير ، أو تنقية لقول عمرو بن شعيب رحمه الله عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ خطب في الناس فقال : « ألا من ولى يتيما له مال فليتجز فيه ولا يتركه حتى تأكله الصدقة » (١١) .

وعن القاسم بن محمد رحمه الله قال : « كانت عائشة تلينى أنا وأخ لى يتيمين في حجرها فكانت تخرج من أموالنا الزكاة » (١٢) .

[لا تبدلوا الخيى بالطيب]

وكما أمر الله بإيتاء اليتامي أموالهم نهبا إلى شىء خطير بما يتسرب إلى النفوس وهو أن الوصى قد يعطى اليتيم من ماله الخيى ويأخذ مكانه مال اليتيم الطيب ويضع

(*) حديث حسن . أخرجه الترمذى (١٢٩٣) عن أنى طلحة مرفوعا ، والدارقطنى (٢٦٥/٤) عن أنس مرفوعا وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٠٣٩) .
(١٠) حديث صحيح . أخرجه أبوداود (٣٦٧٥) ، وأحمد (١١٩/٣) عن أنس مرفوعا وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٣١٢٢) .
(١١) حديث ضعيف . أخرجه الترمذى (٦٤١) عن عبدالله بن عمرو مرفوعا ، والبيهقى (١٠٧/٤) . وضعفه الألبانى (ضعيف سنن الترمذى) ، الإرواء (٣٥٨/٣) .
(١٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى (ص ١٠٠ - ١٠١) .

في سبحانه أنه لا وزر عليه في ذلك مادام أعطى اليتيم الكم المطلوب فنهنا الله سبحانه وتعالى أن المطلوب مراعاة الله في هذا المال كما وكيفاً ، فقال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوهَا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (١٣) .

ويقول الشيخ سيد قطب (١٤) « فلقد كان هذا كله يقع إذن في البيئة التي خوطبت بهذه الآية أول مرة فالخطاب يشي بأنه كان موجهاً إلى مخاطبين فيهم من تقع منه هذه الأمور وهي أثر مصاحب من آثار الجاهلية وفي كل جاهلية يقع مثل هذا ونحن نرى أمثاله في جاهليتنا الحاضرة في المدن والقرى وما تزال أموال اليتامى تؤكل بشتى الطرق وشتى الحيل من أكثر الأوصياء على الرغم من كل الاحتياطات القانونية ، ومن رقابة الهيئات الحكومية المخصصة للإشراف على أموال القصر ، فهذه المسألة لا تنفلح فيها التشريعات القانونية ولا الرقابة الظاهرة كلا لا يفلح فيها إلا أمر واحد « التقوى » فهي التي تكفل الرقابة الداخلية على الضمائر فيصبح للتشريع قيمته وأثره ا.هـ .

[الاهتمام بأموال اليتامى]

١ - ولقد بلغ من عناية القرآن بشأن اليتيم أن الله سبحانه وتعالى تأكيداً للاهتمام بشأن اليتيم جعل الوصية له من ضمن الوصايا العشر يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (١٥) .

فعلى من يتولى اليتيم ألا يقرب ماله إلا بالطريقة التي هي أحسن لليتيم فيصونه وينميها حتى يسلمه له كاملاً نامياً عند بلوغه أشده أى اشتداد قواه الجسمية

(١٣) سورة النساء : الآية (٢) .

(١٤) الظلال للشيخ سيد قطب (١/٥٧٦-٥٧٧) .

(١٥) سورة الأنعام : الآية (١٥٢) .

والعقلية ليحمي ماله ويحسن القيام عليه وبذلك تكون الجماعة قد أضافت إليها عضواً نافعاً وسلمته حقه كاملاً» ا.هـ .

وفي سورة الإسراء يقرن الله سبحانه وتعالى بين حسن القيام على أمر اليتيم وبين الوفاء بالعهد فيقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (١٦) .

٢ - وكفى اهتماماً بحق اليتامى وتنبيهاً على مزيد العناية بهم أن الله سبحانه وتعالى ربط الأمر بالإحسان إليهم بعد الأمر بتوحيده ، وهذا دليل على أن العقيدة لا تكون كاملة في الأمة وتحت عيونهم يتيم قد أهملوه وحرموه العطف والحنان وهذا التصرف لا يكون ولا يحدث فعلاً إلا عند نقص العقيدة ، فنقص العقيدة ينشر الأنانية في الأمة ويجعل كل فرد يهتم بمصلحته الخاصة دون النظر إلى حقوق الآخرين ، ووجود عقيدة التوحيد يجعل الأمة متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وهذا هو المجتمع المثالي الذي دعا إليه الإسلام مجتمع فيه الغنى ولكن لا يوجد المحروم . ويوجد فيه القوى ولكن لا يوجد المظلوم فلا يوجد دين عند أمة جحدت حقوق الوالدين ، ولا يوجد دين عند أمة أهملت حقوق القرابة - ولا يوجد دين عند أمة أساءت معاملة الأيتام ، ولا يوجد دين عند أمة أهملت حقوق الجوار وأكلت حق المسكين - يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَآبِنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ (١٧) .

(١٦) سورة الإسراء : الآية (٣٤) .

(١٧) سورة النساء : الآية (٣٦) .

إن الدين الإسلامى ليست أوامره جامدة لا تحقق من ورائها معانى إنسانية ، وإنما الدين الإسلامى عقيدة تتيح علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته ببيته ، وعلاقته بمجتمعه .

ونلاحظ فى هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى وجه الأمر بلفظ الجساعه وهذا دليل على المسئولية الجماعية فى الإسلام ، فالجماعه كلها مسئولة عن رعاية الضعفاء .

يقول د/ محمد عزمى ص ١٨ : « إنه لا يمكن الادعاء بعدم وجود من يكفل يتيما مسلماً فى المجتمع لوجود ولاية المسلمين الذين علمهم الرسول ﷺ ، مسئولية من ولاهم الله عليهم بقوله : « من ولّاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره » .

إن اليتيم إذا ما أهمل شأنه ، وفقد رعاية المسلمين وحمائهم وقع فريسة ضعيفة للضالين والفاستدين ولأعداء الإسلام الآثمين ووجهوه إلى ما لا يرضى الله والرسول مستغلين ضعفه وفقره وضياعه ملوحين له بالمغريات الزائفة حتى يصلوا به إلى ضياع أكبر والعياذ بالله .

[تخرج ورفع للخرج]

حينما كثرت الوصية بالتحرز من أكل أموال اليتامى تخرج الصحابة فكل من كان له ولاية على يتيم عزله فى طعامه وشرابه حتى لا تصيب يده شيئاً من هذا الطعام ولكن الله سبحانه وتعالى رفع هذا الحرج عنهم بقوله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٩) .

(١٨) حديث صحيح . أخرجه أبوداود (٢٩٤٨) عن أنى مريم الأزدي واللفظ له ، والترمذى (١٣٣٢) ، والبيهقى (١٠١/١٠) ، والحاكم فى المستدرک (٩٣/٤) وصححه ووافقه الذهبى وصححه الألبانى فى صحيح سنن أنى داود (٢٥٥٥) .
(١٩) سورة البقرة : الآية (٢٢٠) .

وقد أجاز ابن حجر أن يخلط الوصى ماله بمال اليتيم بشرط تحقق مصلحة لليتيم في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر للإمام ابن حجر المكي .

ويقول الدكتور محمد عزمى صالح في كتاب الرعاية الاجتماعية لليتامى في الإسلام ص ٢٦ .

أمرنا الله سبحانه وتعالى بإصلاح اليتامى وحضنا على مخالطتهم يقول تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ولقد نزلت هذه الآية لتوضح للمسلمين في عهد الرسول ﷺ أسلوب معايشة اليتامى عندما سيطر الخوف عليهم من المساس بأموال اليتامى والاقتراب منها الأمر الذى جعلهم يعزلونهم رغم معايشتهم ومخالطتهم مع صعوبة ذلك حتى اشتد عليهم فعن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢٠) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أُمُوالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٢١) . انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فإذا فضل من طعام اليتيم وشرابه شيء حبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ (٢٢) . فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم (٩) كما ضرب رسول الله ﷺ ، أفضل الأمثال في إصلاح اليتامى ومخالطتهم كما في رواية أنس رضى الله عنه حيث قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين بالمدينة ، وأنا غلام

(٢٠) سورة الإسراء : الآية (٣٤) .

(٢١) سورة النساء : الآية (١٠) .

(٢٢) سورة البقرة : الآية (٢٢٠) .

(*) حديث حسن . أخرجه أبو داود (٢٨٧١) ، والنسائي (٣٦٦٩) ، والبيهقى في سننه (٢٨٤/٦) ، والحاكم في المستدرک (٣٠٣/٢ ، ٣١٨) عن ابن عباس مرفوعا وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وحسنه الألبانى في صحيح سنن أبى داود (٢٤٩٥) وصحيح سنن النسائي (٣٦٦٩) .

ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبه أن أكون عليه ، ما قال لى فيها أف قط ، وما قال لى : لم فعلت هذا ؟ أو ألا فعلت هذا « (٢٣) .

وإصلاح اليتامى ومخالطتهم كذلك يكون فى أداء حق الله تعالى عنهم كما فى الصدقة : فعن زينب امرأة عبدالله قالت : كنت فى المسجد فرأيت النبى ﷺ ، قال تصدقن ولو من حليكن وكانت زينب تنفق على عبدالله وأيتام فى حجرها فقالت لعبدالله سل رسول الله ﷺ ، أيجزىء عنى أن أنفق عليك وعلى أيتام فى حجرى من الصدقة ؟ قال : سلى أنت رسول الله ﷺ ، قالت فانطلقت إلى النبى ﷺ ، فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها من حاجتى فمر علينا بلال فقلنا سل النبى ﷺ ، أيجزىء عنى أن أنفق على زوجى وأيتام لى فى حجرى وقلنا لا تخبرنا فدخل فسأله فقال من هى ؟ قال زينب قال : أى الزيانب هى ؟ قال امرأة عبدالله ، قال : نعم ولها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة « (٢٤) . هـ .

من كتاب الرعاية الاجتماعية لليتامى فى الإسلام .

[عاقبة من يأكل مال اليتيم]

يقول سبحانه وتعالى فى محكم كتابه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٢٥) .

لقد توعد الله سبحانه وتعالى الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً بشيئين : أولاً أنهم يأكلون ناراً فى بطونهم . ثانياً أنهم سيدخلون النار وبئس القرار .

يقول قتادة رضى الله عنه أنها نزلت فى رجل من غطفان ولى مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله ، غير أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويقول الحافظ

(٢٣) حديث صحيح . أخرجه أبوداود (٤٧٧٤) عن أنس بن مالك رضى الله عنه موقوفاً .

(٢٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٤٦٦) عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود .

(٢٥) سورة النساء : الآية (١٠) .

ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر . إن بطونهم أوعية النار إما حقيقة بأن يخلق الله لهم ناراً يأكلونها في بطونهم أو مجازاً من إطلاق المسبب وإرادة السبب » ثم يقول قال ابن دقيق العيد : أكل مال اليتيم مجلب لسوء الخاتمة والعياذ بالله .

ثم يقول : وقد نبه تعالى على تأكيد حق الأيتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾ (٢٦) .

ذلك لمن كان في حجره يتيماً ، عليه أن يحسن إليه حتى في الخطاب .. فلا يخاطبه إلا بنحو يابني مما يخاطب به أولاده ويفعل معه من البر والمعروف والإحسان والقيام في ماله ما يجب أن يفعل بماله مع ذريته من بعده ؛ فإن الجزاء من جنس العمل بينما الإنسان آمن متصرف في مال الغير وعلى أولاد غيره ، وإذا بالموت قد حل به فيجزيه الله تعالى في ماله وذريته وعتاله وسائر تعلقاته بنظير ما فعله مع غيره : إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشراً ، فليخش العاقل على أولاده وماله ، إن لم يكن له خشية على دينه ، ويتصرف مع الأيتام الذين في حجره بما يجب أن يتصرف مع أولاده بعد موته .

١ - قال ﷺ : « يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال اليتيم » (٢٧) .

٢ - قال ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يارسول الله وما هن ؟ قال « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا ،

(٢٦) سورة النساء : الآية (٩) .

(٢٧) حديث صحيح : أخرجه مسلم (١٨٢٦) ، والطيالسي (٤٨٥) ، والبيهقي في سننه (٩٥/١٠) ، والحاكم في المستدرک (٩١/٤) عن أبي ذر مرفوعاً ، وابن حبان (٥٥٣٨) عنه أيضاً مرفوعاً .

وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » (٢٨) .

٣ - قال ﷺ : « أربع حق على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيما : مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه » (٢٩) .

٤ - ومن جملة كتابه ﷺ ، الذى أرسله مع عمرو بن حزم إلى أهل اليمن وإن أكبر الكبائر عند الله : « الإشراف بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم السحر وآكل الربا وآكل مال اليتيم » (٣٠) .

٥ - قال رسول الله ﷺ : « يبعث يوم القيامة قوم في قبورهم تأجج أفواههم ناراً فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : ألم تر أن الله يقول ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ » (٣١) .

قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة تستجاب دعوتهم : الوالد ، والمسافر ، والمظلوم » (٣٢) .

(٢٨) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٦٨٥٧/فتح) عن أبى هريرة مرفوعاً بلفظه ، ومسلم (٨٩) ، وأبوداود (٢٨٧٤) ، والنسائى (٣٦٧١) ، وابن حبان (٤٣٥/٧) كلهم عن أبى هريرة مرفوعاً ، وصححه الألبانى في صحيح سنن أبى داود (٢٨٧٤) .

(٢٩) ضعيف جداً . أخرجه الحاكم (٣٧/٢) عن أبى هريرة مرفوعاً ، وضعفه الألبانى في ضعيف الجامع (٨٤٨) .

(٣٠) حديث حسن : أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٨١/٨) ، وأخرجه الحاكم (٣٩٧/١) ، والبيهقى (٨٩/٤) في سننه ، والطبرانى في الكبير كما في مجمع الزوائد (٧٣/٢) .

(٣١) موضوع . أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٥٤٠) ، وأورده الهيثمى في مجمع الزوائد (٢/٧) عن أبى هريرة وعزاه لأبى يعلى والطبرانى ، وقال : فيه زياد بن المنذر وهو كذاب .

(٣٢) حديث حسن . أخرجه أبوداود (١٥٣٦) ، والترمذى (٣٤٤٨) ، وغيرهم عن أبى هريرة مرفوعاً . وحسنه الألبانى في صحيح سنن أبى داود (١٣٥٩) .

وعن أئى هريرة عن النبى ﷺ ، قال : « دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجراً ، ففجوره على نفسه » (٣٣) .

قال ﷺ : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » (٣٤) .



(٣٣) حديث حسن . أخرجه أحمد (٣٦٧/٢) ، وابن أئى شيبه (٢٧٥/١٠) ، والخطيب فى تاريخه (٢٧٢/٢) ، وابن حبان (٢٧٥/١٠) عن أئى هريرة مرفوعاً . وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٨٢) .

(٣٤) حديث صحيح : أخرجه البخارى فى الأدب (٦٠١٣) . وأخرجه مسلم (٢٣١٩) عن جرير بن عبدالله مرفوعاً ، وأحمد (٣٦٥/٤ ، ٣٦٦) والحميدى (٨٠٢) ، (٨٠٣) .

[من أخلاقيات]
« الجاهلين والمكذبين بيوم الدين »

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الفجر مخاطباً أفراد المجتمع الجاهلى ومبيناً صفاتهم : ﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَخَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (٣٥) .

ويبين كذلك صفات المكذبين بالدين في قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (٣٦) .

إن الذى يكذب بالدين هو الذى يدفع اليتيم دفعاً بعنف أى الذى يهين اليتيم ويؤذيه ، والذى لا يحض على طعام المسكين ولا يوصى برعايته فلو صدق بالدين حقاً ولو استقرت حقيقة التصديق فى قلبه ما كان ليدع اليتيم وما كان ليقعد على الحض على طعام المسكين .

(٣٥) سورة الفجر : الآيتان (١٧ ، ١٨) .
(٣٦) سورة الماعون : الآيتان (١ ، ٢) .

فمن صفات المجتمع الجاهلى :

- ١ - إهانة اليتيم .
- ٢ - عدم الحظ على طعام المسكين .
- ٣ - أكل مال اليتيم .
- ٤ - حب المال حباً جماً .
- ٥ - الاستهانة بالصلاة .
- ٦ - الرياء .

٧ - منع المعونة عن الغير .

ولقد أعد الله لمن اتصف بصفة من هذه الصفات الويل والهلاك يوم العرض العظيم ، وحينئذ يتذكر الإنسان ما قدم من عمل ويندم ويتمنى أن يستعيد ما مضى وأنى له ذلك : ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدِمْتُ حَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ ﴾ (٣٧) .

[حق الأئمة في اليتيم]

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَنًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (٣٨) .

ويقول أيضاً سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (٣٩) .

هاتان الآيتان تقرران حق اليتيم حتى لا تكون موضعاً للطمع من الأولياء حين يقدم الولي على نكاح اليتيم فيبخسها قدرها ويهضمها حقها ويعطيها مهر مثلها ، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ فقالت يا ابن أخي هذه اليتيم تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها ، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ؛ فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق وأمر أن ينكحوا من النساء سواهن ، قالت عائشة رضي الله عنها : وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ ، بعد

(٣٧) سورة الفجر : الآية (٢٤-٢٦) .

(٣٨) سورة النساء : الآية (٣) .

(٣٩) سورة النساء : الآية (١٢٧) .

هذه الآية فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الْأَلْفَى لَا تُوْثِقُهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ (٤٠) .

قالت عائشة رضى الله عنها ، وقول الله فى هذه الآية الأخرى :

﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ . رغبة أحدكم عن يتيمة إذا كانت قليلة المال والجمال ، فنها أن ينكحوا من رغبوا فى مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن . إذا كن قليلات المال والجمال ، وبذلك يكون قد صان الشرع الحكيم لليتيمة حقها حتى تكون مصونة من كل ما يحيط من قدرها أو يهبط من شأنها فإنها لا تقل منزلة عن غيرها اللاتى ليست هن يتييمات ، فليتنق الأولياء ربهن الذى أنذر بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٤٠)



(*) سورة النساء : الآية (١٢٧) .

(٤٠) سورة النساء : الآية (١) .

[فضل رعاية] « اليتيم من السنة »

لقد بشر النبي ﷺ ، القائم على أمر اليتامى والمتعهد بكفالتهم وحسن تربيتهم بالجنة كما ورد في الأحاديث الآتية :-

١ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة » ، وأشار مالك بالسبابة والوسطى^(٤١) قال بعض العلماء لعل الحكمة في كون كافل اليتيم تشبه منزلته في الجنة من منزلة النبي ﷺ لأن النبي شأنه أنه بعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه ولا دنياه فيرشده ويعلمه ويحسن تربيته فظهرت مناسبة ذلك . (كهاتين) قال ابن بطال : حق على من سمع هذا أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ، ولا منزلة أفضل من ذلك في الآخرة » (الفتح) .

٢ - عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال :

« من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر له »^(٤٢) .

ومعنى إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر معناها أن يشرك بالله كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٤٣) .

(٤١) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٨٣) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظه ، وأحمد (٣٣٣/٣) عن سهل بن سعد بنحوه ، وغيرهما .

(٤٢) ضعيف جداً . أخرجه الترمذى (١٩١٧) عن ابن عباس مرفوعاً ، وضعفه الألبانى في ضعيف الجامع (٥٧٥٧) .

(٤٣) سورة النساء : الآية (١١٦) .

ومعنى وجبت له الجنة أى قدر الله له دخولها وعداً عليه جل وعلا ووعدده محقق قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٤) .

٣ - عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : « جاءتنى امرأة معها ابنتان لها ، فسألتنى فلم تجد عندى إلا ثمرة واحدة فأعطيتها . فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي ﷺ فقال : « من يلى من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار » (٤٥) ، قال العلامة فضل الله الجيلاى قد بوب الإمام البخارى لهذا الحديث عنواناً : « باب فضل من يعول يتيماً له » ، فى كتابه الأدب المفرد فلعل المصنف ظنهما يتيمتين ، أو يدخل اليتيم فى عموم البنات ويقاس عليه الابن ، وإلا فى الحديث ليس ذكر اليتيم . « ومن يلى » أى يصير والياً عليهن ويقوم بأمرهن ، وفى بعض الروايات : « ابتلى » ، قال النووى : إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن غالباً وعادة ، فالابتلاء نفس وجودهن أو يصدر منهن ، ويحتمل أن يكون الابتلاء بمعنى الاختبار أى من اختبر بشيء من البنات لينظر ما يفعل بهن ، أيحسن إليهن أم يسىء ؟ وهل هو على العموم فى البنات أو المراد من اتصفت منهن بالحاجة ما يفعل به « الفتح » .

٤ - عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنه تأتى امرأة تبادرنى فأقول لها : مالك ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدت على أيتام لى » (٤٦) .

(٤٤) سورة الروم : الآية (٤٧) .

(٤٥) حديث صحيح : أخرجه البخارى كتاب الأدب (٨/٨) عن عائشة مرفوعاً .

(٤٦) حديث حسن : أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٦٢/٨) وعزاه لأنى يعلى

وقال : وفيه عبدالسلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان وقال يخطئ ويخالف وبقية رجاله ثقات . وقال الحافظ فى الفتح (٤٣٦/١٠) رواه لا بأس بهم .

٥ - عن أنى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« الساعى على الأرملة والمسكين ، كالجاهد فى سبيل الله ، أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل »^(٤٧) ، يخبر ﷺ ، أن الذى يذهب ويجىء فى تحصيل ما ينفع الأرملة والمساكين الكاسب لهم والحامل لمؤنتهم وخصت الأرملة التى لا زوج لها سواء تزوجت من قبل أو لا لما يصيبها من قلة الزاد ومن يقوم على شأنها .

وخص القائم : بإصلاح شأنهما والإنفاق عليهما بثواب كثواب الغازى فى جهاده لأن المال شقيق الروح ، وفى بذله مخالفة النفس ومطالب رضى الرب . « وفى نفقات الصحيح » ، أو القائم الليل الصائم النهار .. وروى آخرون : أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل . وكذلك فهو كالجاهد فى سبيل الله . فى الأجر ، فمن أنفق على من ليس له بقريب فلهذا الفضل له ، ومن اتصف بالوصفين ففضله أولى .

[البيت]

« الذى يضم يتيما من أفضل البيوت »

١ - يقول رسول الله ﷺ : « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يтим يحسن إليه ، وشر بيوت المسلمين بيت فيه يтим يساء إليه »^(٤٨) .

(٤٧) حديث صحيح : أخرجه البخارى كتاب الأدب (١٠/٨) عن صفوان بن سليم مرفوعا بلفظه ، ومسلم (٢٢٨٦) عن أنى هريرة مرفوعا ، والترمذى (١٩٦٩) واللفظ له ، وغيرهم .

(٤٨) حديث ضعيف . أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٩) عن أنى هريرة مرفوعا ، والبخارى فى الأدب المفرد (١٣٧) وابن المبارك (٢٣٠/١) ، وأبونعيم فى الحلية (٣٣٧/٦) عن عمر بنحوه ، والبعغوى فى شرح السنة (٤٣/١٣) ، وضعفه الألبانى فى ضعيف ابن ماجه برقم (٨٠٣) .

٢ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال :
« إن أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم » (٤٩) .

[العطف على الأيتام يورث القلوب الرحمة]

١ - عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه قال : « أتحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتذكر حاجتك » (٥٠) .

٢ - عن أنس هريرة رضى الله عنه أن رجلا شكى إلى رسول الله ﷺ فقال :
« امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين » (٥١) .

٣ - وعن أنس أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من مسح على رأس يتيم لم يمسه إلا الله كان له في كل شعرة مرت عليها يده عشر حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى » (٥٢) .

والرحمة يجب أن تتحقق كاملة في المسلم الذى يتحرى تعاليم الكتاب والسنة ويريد أن يتخلق بالأخلاق الفاضلة ولقد ذكر الله لنا صفاته في كتابه الكريم لنلتزم بها ، ومن صفات الله الرحمة التى من أثرها صدرت كل النعم التى نشعر بها ، ونعيش

(٤٩) حديث ضعيف . أخرجه الطبرانى في الكبير (٣٨٨/١٢) عن ابن عمر مرفوعا وقال الهيثمى في المجمع (١٦٠/٨) وفيه إسحاق بن إبراهيم الحنينى قد كان ممن يخطئ .

(٥٠) حديث صحيح . أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٢٩) ، وأبونعيم في الحلية (٢١٤/١) عن أنس الدرداء مرفوعا ، وصححه الألبانى في صحيح الجامع الصغير برقم (٨٠) .
(٥١) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣٦٣/٢) عن أنس هريرة مرفوعا ، وصححه الألبانى في الصحيحة برقم (٨٥٤) .

(٥٢) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٢٥٠/٥ ، ٢٦٥) ، وفي الزهد (ص ٢٨) ، والطبرانى (٢٨٤/٨) كلهم عن أنس أمامة مرفوعا ، وقال الهيثمى بعد أن عزاه لأحمد والطبرانى : وفيه على بن يزيد الألهانى وهو ضعيف .

فى ظلالها ، فىنبغى على الإنسان المسلم أن يأخذ حظه من تلك الصفة حتى يكون رقيق العاطفة ، رقيق الشعور ، يرحم الأيتام ، ويرحم الضعفاء وأصحاب العاهات .

وإذا تخلق الإنسان بخلق الرحمة استحق الرحمة الكبرى فى الدنيا والآخرة من رب البشر يقول عليه السلام : « الراحون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (٥٣) ؛ فالإنسان حينما يمسح على رأس اليتيم يضىء الله قلبه بصفة الرحمة وبذلك يحصل على منحة ما بعدها منحة لأن خير ذلك يعود عليه فى الدنيا والآخرة .

٣ - قال داود عليه السلام : « كن لليتيم كالأب الرحيم » ، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد . ما أقبح الفقر بعد الغنى ! وأكثر من ذلك أو أقبح من ذلك : الضلالة بعد الهدى ، وإذا وعدت صاحبك فأنجز ما وعدته ؛ فإن لا تفعل يورث بينك وبينه عداوة ، ونعوذ بالله من صاحب إن ذكرت لم يعنك وإن نسيت لم يذكرك » (٥٤) .



(٥٣) حديث صحيح . أخرجه أبوداود (٤٩٤١) ، والترمذى (١٩٢٤) ، وأحمد (١٦٠/٢) والحميدى (٥٩١) ، وابن أبى شيبه (٣٣٨/٨) ، والحاكم (١٥٩/٤) ، والحديث صحيحه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً برقم (٣٥٢٢) .

(٥٤) الأثر صحيح رواه البخارى فى الأدب المفرد (١٣٨) ، وأخرجه أحمد (١٣٩/١) فى الزهد .

نظرة الشرع لليتيم إذا كان محتاجاً

١ - إعطاء اليتيم سهماً من خمس الغنيمة يقول الله سبحانه وتعالى :
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (٥٥).

ومعنى هذه الآية : اعلّموا أيها المؤمنون أن كل ما تحصلون عليه من الكفار
المحاربين أيا كان قليلاً أو كثيراً حق ثابت لكم ، وحكمه أن الله خمسة ، وللرسول ،
ولذي القرى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، فاقسموه خمسة أقسام واجعلوا
خمسه لله ينفق في مصالح الدين وإقامة الشعائر ، وعمارة الكعبة وكسوتها ، ثم اعطوا
الرسول ﷺ منه كفايته لنفسه ولنسائه ، ثم منه لذوى القرى من أهله وعشيرته ثم
المحتاجين من سائر المسلمين وهم (اليتامى والمساكين وابن السبيل) (٥٦) .

ثم بين سبحانه وتعالى أن هذا هو مقتضى الإيمان والإذعان والخضوع لأوامره
وأحكامه وعدم النزاع فيما بينهم . لأن الله عز وجل هو الذى قسم فأعطى كل ذى
حق حقه كما راعى مصالح العباد جميعاً فما على المؤمنين إلا الرضى والتسليم لحكم الله
العلی الكبير .هـ محمد الصابوني .

٢ - إعطاء اليتيم من الفىء : والفىء هو المال الذى يحصل عليه المسلمون من
العدو دون قتال يقول الله سبحانه وتعالى :

(٥٥) سورة الأنفال : الآية (٤١) .
(٥٦) تفسير آيات الأحكام للصابوني (ص ٦٠٠) .

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَتَاكُمْ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥٧) .

٣ - من البر إعطاء اليتيم من صدقة التطوع والبر معناه جماع الخير يقول الله
سبحانه وتعالى في محكم كتابه :

﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرُّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ (٥٨) .

فذكر سبحانه وتعالى أن من أرقى أعمال الخير الإنفاق على اليتيم وجعله من بين
الأصناف الذين تُصرف لهم صدقة التطوع .

٤ - إطعام اليتيم والمساكين والأسير من أجل أنواع الطاعات التي يتقرب بها
الإنسان إلى الله ، وجعل ذلك من العزائم التي لا يقوم عليها إلا الذين يخافون يوم
الحساب والذين يستحقون الجنة في الآخرة وهذه الأعمال مساوية للوفاء بالنذر في
المنزلة عند الله سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ يَوْمُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (٥٩) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ
عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً
وَلَا شُكُورًا إِلَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَنُوسًا قَمْطَرِيرًا ... ﴾ (٦٠) .

(٥٧) سورة الحشر : الآية (٧) .

(٥٨) سورة البقرة : الآية (١٧٧) .

(٥٩) يقول تعالى ذكره : ويخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا لله من بر ﴿ في

يوم كان شره مستطيرا ﴾ ممتداً طويلاً فاشياً . [تفسير الطبري (٢٩/٢٠٢)] .

(٦٠) سورة الإنسان : الآيات (٧-١٠) .

٥ - إطعام اليتيم والمسكين نجاح للإنسان في أن يتخطى أضخم عقبة تحول بينه وبين رضا الله يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه :

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكٌ رَقَبَةٌ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَقْرَبَةً أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (٦١) .

في معنى هذه الآية يقول الأستاذ سيد قطب : هذه العقبة التي تقف بينه وبين الجنة لو تخطاها لوصل ، وتصويرها كذلك حافز قوى واستجاشة للقلب البشري وتحريكه ليقترحم العقبة وقد وضحت ووضح معها أنها الحائل بينه وبين هذا المكسب الضخم فلا اقتحم العقبة ففيه تخصيص ودفع وترغيب !

ثم تفخيم لهذا الشأن (وما أدراك ما العقبة) إنه ليس تضخيم العقبة ولكنه تعظيم شأنها عند الله ليحفز به الإنسان إلى اقتحامها وتخطيها مهما تتطلب من جهد ومن كبد .. ثم يقول « وقد كان اليتيم يجد في البيئة الجاهلية الجاحدة المتكالية الخسف والغبن ولو كان ذا قرى وقد حفل القرآن الكريم بالوصية باليتيم مما يدل على قسوة البيئة من حول اليتامى (٦٢) . اهـ .

٦ - قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٦٣) .

هذه الآية ترينا كيف أن الشرع الحكيم جعل لليتيم نصيباً من تركة المتوفى يعطى من التركة إذا كان المال كثيراً ويعتذر له إذا كان المال قليلاً وقيل إن هذه الآية منسوخة بآية الموارث والصحيح أنها محكمة يقول القرطبي ص ١٦١٩ ط الشعب « وفي البخارى عن ابن عباس في قوله تعالى « (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال : هي محكمة وليست بمنسوخة) ا . هـ .

(٦١) سورة البلد : الآيات من (١١-١٦) .

(٦٢) في ظلال القرآن (٦/٣٩١١-٣٩١٣) .

(٦٣) سورة النساء : الآية (٨) .

ويعلمنا القرآن الكريم أن خير نفقة يثاب عليها الإنسان هي النفقة على اليتامى
بعد النفقة على الوالدين وذوى القربى .

٧ - قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيمٌ ﴾ (٦٤) .



(٦٤) سورة البقرة : الآية (٢١٥) .

[السنة الفعلية]

« فى معاملة اليتيم »

١ - عند تفسير قول الله سبحانه وتعالى :

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٦٥) .

ذكر الحافظ ابن كثير فى تفسيره حديثا رواه الإمام البخارى فعن إبراهيم بن المنذر ... عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة » اقرءوا إن شئتم :
﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا
وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتنى فأنا مولاه »^(٦٦) الأحزاب آية (٦) .

ومعنى الضائع الفقير ذو العيال والجمع ضيع وضياع^(٦٧) ؛ فمعنى ذلك أن
من ترك عيالا جائعين فالنبي أولى برعايتهم إن لم يكن لهم قرابة .

٢ - كان رسول الله ﷺ يتزوج الأرمال ومن فى رعايتهن أيتام وذلك من
أجل القيام عليهن وعلى مصالح أولادهن كما حدث عندما تزوج النبى ﷺ أم سلمة
فكان عمرو ابنها فى رعاية النبى ﷺ .

٣ - عندما استشهد جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه أخذ النبى ﷺ
أولاده يقول أحد أبناء جعفر فجىء بنا كأننا أفراخ فقال « ادعوا لى الحلاق » فجىء
بالحلاق فحلق رؤسنا ثم قال : « أما محمد فشبيه عمنا أبى طالب ، وأما عبدالله

(٦٥) سورة الأحزاب : الآية (٦) .

(٦٦) تفسير ابن كثير (٤٦٨/٣) ط عيسى الحلبى ، والحديث صحيح رواه البخارى فى
كتاب الاستقراض (٢٣٩٩/فتح) باب الصلاة على من ترك ديناً .
(٦٧) المعجم الوسيط (٥٦٧/١) .

فشيبه خلقي وخلقي . ثم أخذ بيدي فأشالها ، وقال : اللهم اخلف جعفر في أهله وبارك لعبدالله في صفقة يمينه . قالها ثلاث مرات ، قال : فجاءت أمنا فذكرت يتمنا فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة » (٦٨)

وذلك تصديقاً عملياً بوصية الله سبحانه وتعالى باليتيم وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا ﴾ (٦٩)

قال الحسن :

لقد عهدت المسلمين ، وإن الرجل منهم يصبح فيقول : يا أهلي ! يا أهلي يتيمنكم يتيمنكم . يا أهلي ! يا أهلي ! مسكينكم مسكينكم . يا أهلي ! يا أهلي ! جاركم جاركم وأسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون (٧٠) ...

قال « عهدت المسلمين » : أى وجدت زماناً للمسلمين أسمع فيه نداء المسلمين وأصواتهم في بيوتهم أنهم يحرضون أهاليهم إلى خدمة اليتيم والمسكين والجار ، ويقدمونهم على أنفسهم احتساباً وطلباً لمرضاة الله عز وجل ، وصرنا في زمان كثر فيه المال ، وفسدت الأخلاق ، وقل فيه أهل الحمية والدين ، فترى في الناس ذا مال ، ممسكاً شحيحاً ييخل بماله ولا ينفقه في خير ولا شر ، ومنهم من نراه مبذراً ينفقه في المعصية ولا يعظه أحد ولا هو يتعظ بنفسه .

(٦٨) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٢/٤) .

(٦٩) سورة النساء : الآية (٣٦) .

(٧٠) الأثر ضعيف . أخرجه البخارى في الأدب المفرد (١٣٩) ، فيه حمزة بن نجيح ،

وهو لين الحديث .

عن الحسن : أن يتيماً كان يحضر طعام ابن عمر . فدعا بطعام ذات يوم ، فطلب يتيمة فلم يجده . فجاء بعد ما فرغ ابن عمر . فدعا له ابن عمر بطعام ، فلم يكن عندهم . فجاءه بسويق وعسل . فقال : دونك هذا ، فوالله ما غُبِثْتُ ، يقول الحسن . وابن عمر والله ما غُبِثَ (٧١) .

وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه (٧٢) .
وفي رواية أن عبداً لله كان لا يأكل طعاماً إلا وعلى نحوه يتيماً (٧٣) .



-
- (٧١) الأثر صحيح . أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (١٣٤) .
(٧٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٥٣٩٣/فتح) .
(٧٣) الأثر صحيح . أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (١٣٦) ، وأحمد (ص/٢٣٧) فى الزهد من أكثر من طريق ، وعنه أبونعيم فى الحلية (٢٩٩/١) .

المجتمع المتكافل

صورة من خلافة عمر بن الخطاب

المجتمع المتكافل هو الذى لا نرى فيه إنساناً مهملاً ولا ضائعاً ، هو الذى نراه أهلاً لتحمل المسئولية حتى لا يتعرض هذا المجتمع لغضب الله لقول رسول الله ﷺ : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » (٧٤) .

ومن واجب المجتمع المسلم رعاية الأيتام الذين فقدوا الأقارب أو من يتولون أمرهم وقد ورد : « أن السلطان مولى من لا ولى له » (٧٥) .

وإن واقع المسلمين الأولين من صحابة رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك :

١ - خرج أسلم مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين ، هلك زوجى وترك صبية صغاراً ، والله ما ينضجون كراعاً (والكراع هو ما دون الركبة إلى الساق) لا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت أن يأكلهم الضيع (السنين المجدة) وأنا بنت خُفَاف بن إيماء الغفارى رضى الله عنه ..

(٧٤) حديث ضعيف أخرجه أحمد (٣٣/٢) ، وابن أبى شيبه (١٠٤/٦) ، وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد لأحمد وأبى يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط وفيه أبو بشر الأملوكى ضعفه ابن معين (المجمع ١٠٠/٤) .

(٧٥) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٦٦/٦) وأبوداود والترمذى وابن ماجه والحاكم عن عائشة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٧٠٩) .

وقد شهد أنى الحديبية مع النبي ﷺ فوقف معها عمر ، ولم يمض ، ثم قال :
مرحباً بنسب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً فى الدار ، فحمل
غراريتين ، فملاهما طعاماً ، وجعل بينهما نفقة وثيابا ، ثم ناولها خطامه ، ثم قال :
اقتاديه فلن يفنى حتى يأتىكم الله بخير (٧٦) .

« وذلك من بيت مال المسلمين » .

٢ - وأخرج الدينورى وابن شاذان وابن عساكر عن أسلم :

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه طاف ليلة ، فإذا هو بامرأة فى جوف دار
لها ، وحوها صبيان يبكون ، وإذا قدر على النار قد ملأتها .

فدنا عمر من الباب فقال : يا أمة الله ما بكاء هؤلاء الصبيان ؟ قالت : بكاؤهم
من الجوع . قال : فما هذه القدر التى على النار ؟ قالت : قد جعلت ماءً هو ذا
أعللهم به حتى يناموا ، وأوهمهم أن فيها شيئاً . فبكى عمر ثم جاء إلى دار الصدقة ،
وأخذ غرارة وجعل فيها شيئاً من دقيق وشحم وسمن وتمر وثياب ودراهم ، حتى ملأ
الغرارة ثم قال : يا أسلم احمل على فقلت : يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك فقال لى :
لا أم لك يا أسلم أنا أحمله لأنى أنا المسئول عنهم فى الآخرة ، فحمله حتى أتى به
منزل المرأة ، فأخذ القدر فجعل فيها دقيقاً وشيئاً من شحم وتمر ، وجعل يحركه بيده
وينفخ تحت القدر ، فرأيت الدخان من خلل لحيته ، حتى طبخ لهم ، ثم جعل يغرف
بيده ويطعمهم حتى شبعوا ، ثم خرج وربض بجذائهم ، كأنه سبع وخفت أن أكلمه
فلم يزل حتى لعب الصبيان وضحكوا ثم قام فقال : يا أسلم تدرى لم ربضت
بجذائهم ؟ قلت : لا . قال : رأيتم ييكون فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى رأيتم
يضحكون فلما ضحكوا طابت نفسى (٧٧) .

(٧٦) حياة الصحابة للكاندهلوى (١٥٧/٢-١٥٨) .

(٧٧) حياة الصحابة للكاندهلوى (١٨٧/٢-١٨٨) .

وأخرج ابن سعد (ج ٤ ص ٣٥) عن الحسن بن حكيم عن أمه أنها كانت لأبي
برزة رضى الله عنه جفنة من ثريد غلوة وحفنة عشية للأرامل واليتامى
والمساكين (٧٨) .

وعن أبي بكر بن حفص أن عبدالله بن عمر كان لا يأكل طعاما إلا على خوانه
يتيم (٧٩) .

وعن الحسن أن ابن عمر كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله اليتامى .



(٧٨) حياة الصحابة للكاندهلوى (١٨٠/٢) .

(٧٩) حياة الصحابة للكاندهلوى (١٧٢/٢) .

كيف تكون التربية ؟

ليس المقصود بتربية اليتيم التربية الجسدية . لكن المقصود هو : تربية الفرد روحياً وخلقياً منذ بداية إدراكه .

كما ثبت في السنة المهداة : حيث يقول عمر بن أبي سلمة كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي النبي ﷺ :
« يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » (٨٠) .

وهناك درس عملي يحكيه لنا سهل بن عبد الله التستري - رحمه الله - قال : كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم في الليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً يسهل : ألا تذكر الله الذي خلقتك فسواك فعدلك . فقلت وكيف أذكره ؟ قال بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات (الله معي) ، (الله ناظري) ، (الله شاهدي) فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل ذلك في كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلته فوق في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي يا سهل احفظ ما علمت وداوم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعلك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سرى ثم قال لي : يسهل أمن كان الله معه وناظر إليه وشاهده أيعصيه ؟ (٨١)

أخى المسلم :

إن الدين (٨٢) مجموعة من القواعد تبرز ما كمن في الإنسان من الخير وهذا الخير هو أثر الشعلة المقدسة التي سرت في الإنسان من نفس الرحمن ولكن هذه

(٨٠) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٥٣٧٦/فتح) ، ومسلم (٢٠٢١) ، وأحمد (٢٦/٤) ، وابن أبي شيبة (١٠٤/٨) ، والبيهقي في سننه (٢٧٧/٧) عن عمر بن أبي سلمة مرفوعاً .

(٨١) الرسالة القشيرية ط صبيح (ص ٢٤ ، ٢٥) .

(٨٢) كتاب المثل الأعلى للأنبياء « كمال الدين » .

الشعلة المقدسة انطفأت في حمأة الشهوات والميول النفسية التي هي اقرب في صورتها الأولية إلى الطبيعة البهيمية منها إلى الطبيعة الإنسانية ا.هـ .

إن أطفالنا ليسوا كأفراخ الدجاج ، يكفيهم العلف والماء ، كلا ، إنهم في حاجة إلى كل ما في قلوبنا من محبة ، وما في عقولنا من ذكاء .

ويعرض الأستاذ محمد قطب وسائل التربية في كتابه « منهج التربية الإسلامية » (٨٣) .

- ١ - التربية بالقدوة .
- ٢ - التربية بالموعظة .
- ٣ - التربية بالعقوبة .
- ٤ - التربية بالقصة .
- ٥ - التربية بالعادة .
- ٦ - التربية بتفريغ العادة .
- ٧ - ملء الفراغ .
- ٨ - التربية بالأحداث . ا.هـ .

فعلى القائم على أمر اليتيم أن يركز في تربيته على هذه النقاط وألا يتركه هملأ حتى لا يكون وبالاً وشقاءً على المجتمع الذى يعيش فيه فإن إهمال اليتيم من حيث التوجيه لا يقل خطراً عن أكل حقوقه المادية لأن الله سبحانه وتعالى يوجهنا في محكم كتابه قائلاً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (*) واليتيم بالنسبة للوصى من الأهل وهذا الأمر للوجوب فهذا التوجيه ليس من الأمور التي تركها الله لنا إن شئنا قمنا بها وإن شئنا لم نقم ولكنه أمر من الله يطرق

(٨٣) بتصرف (ص ٢٢١-٢٦٤) .

(*) سورة التحريم : الآية - ٦ .

أسماعنا ليصل إلى قلوبنا ثم يأخذ طريقه إلى التنفيذ حماية لهؤلاء الأبناء من أن تتناولهم أيدي دعاة الرذيلة لتقذف بهم إلى آتون الضياع . وفي ذلك يقول الشيخ عبدالله ناصح علوان رحمه الله في كتابه إلى كل أب غيور^(٨٤) : « ومما قاله القس زويمر في مؤتمر المبشرين الذي عقد في جبل الزيتون بالقدس » إنكم أعددتُم نشأً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار : لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهووات ، وإذا جمع المال فللشهووات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات ، ومما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون ما يلي : يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شئ مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو لإرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه . ا.هـ .

إن الكلمة مكتوبة أو مسموعة والمناظر الخليعة كل هذه الأشياء تتعاون وتتآزر وتظهر على خلق جيل لا يعرف طريقاً إلى القيم إلا طريق الانسلاخ من قيمه ومن دينه .



(٨٤) إلى كل أب غيور (ص ٥٢) .

كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك ؟

قال تعالى في كتابه الحكيم :

﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾ (٨٥) .

فالإنسان يؤمن مستقبل ولده بتقوى الله وتقوى الله تشمل إصلاح العلاقة بين الإنسان وخالقه وبينه وبين الناس فالإنسان إذا أدى ما عليه نحو الناس بالمعونة والكلمة الطيبة فإنه بذلك يرسى أساس الحياة الطيبة لولده بعد موته ولا يخفى علينا ما ورد في القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام والخضر في سورة الكهف :

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً . فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ... ﴾ (٨٦) .

حينما دخلا قرية وطلبا من أهلها طعاماً فلم يعطوهما شيئاً ، ثم وجدا جداراً يريد أن ينقض ، فأقامه الخضر فقال له موسى عليه السلام : لو شئت لاتخذت عليه أجراً على إقامة هذا الجدار ، فأخبره الخضر أن إقامة الجدار كان بتكليف من الإرادة الإلهية ، وأنه ما فعله عن أمره ، والحكمة من إقامة هذا الجدار أنه لغلامين يتيمين بالمدينة ، وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يحفظ هذا الكنز نظراً لصلاح الأب . فلم يكل الله هذين الغلامين إلى أحد ممن نزعت الرحمة من قلوبهم ، ولم يكلهم إلى ذوى النفوس المريضة الظالمة الذين لا هم لهم إلا السلب والنهب ، ولكن ادخر الله سبحانه وتعالى ما يكفى لإعاشتهم وبناء مستقبلهم تحت هذا الجدار حتى يبلغا السن المطلوب فيظهر هذا الكنز .

(٨٥) سورة النساء : الآية (٩) .

(٨٦) سورة الكهف : الآية (٨٢) .

وسبب ذلك هو صلاح الأب مما يدل على أن الله سبحانه وتعالى يحفظ الأبناء بسبب صلاح الآباء ، ولا مانع بعد ذلك من اتخاذ الأسباب المادية بعد أن يؤدي الإنسان ما عليه من حق نحو المجتمع ، كما قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص : « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس »^(٨٧) حين طلب سعد بن أبي وقاص في مرضه من رسول الله أن يتصدق بنصف ماله فنهاه رسول الله ﷺ ، فقال له : « بالثلث والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة فقراء يسألون الناس »^(٨٨) .

ومن كلام سعيد بن المسيب لأبنيه لازيدن في صلاح في من أجلك رجاء أن أحفظ فيك ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ .

وقال عمر بن عبدالعزيز : ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه ، وقال ابن المنكدر : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده للدورات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر .

فعلينا أن نصنع مستقبلاً باسمائنا لأبنائنا بحسن علاقتنا بالله إذا ما انتهت حياتنا تركنا لهم غرة أعمالنا التي وضعنا بذورها ، فكما يزرع الإنسان يحصد ، وأن الله يخلف العبد الصالح في أولاده ، فواجب المؤمن أن يترك أولاده وديعة عند الله تعالى بعدما يقدم لهم من عمل صالح ينتفعون به بعد موته .

فعندما حضرت^(٨٩) الوفاة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، وقد ترك أولاده دون أن يترك لهم شيئاً ، فقليل : هؤلاء بنوك وكانوا اثني عشر ألا توصي لهم بشيء فإنهم فقراء فقال :

(٨٧) أخرجه أحمد (١٧٢/١) ، والبيهقي في سننه (٢٦٨/٦) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٣/٤) وعزاه للطبراني وقال : وفيه الوليد بن محمد الموقري وهو متروك .

(٨٨) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٢٧٤٤/فتح) ومسلم (١٦٢٨) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً .

(٨٩) البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٤-٢٣٥) .

﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (٩٠).

وهم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه . وفي رواية « فلا أبالي في أى واد هلك » وفي رواية « أفأدع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت ؟ ما كنت لأفعل » . ثم استدعى أولاده فودعهم وعزاهم بهذا ، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال : انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم . قال فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبدالعزيز يحمل على ثمانين فرساً في سبيل الله .



(٩٠) سورة الأعراف : الآية (١٩٦) .

اليتيم بين الشريعة والقانون

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (*)
فالشريعة تُعلم الوصى المسلم أن يراقب الله في كل تصرفاته .
والإنسان إذا فقد الإحساس برقابة الله فمن الممكن أن يلجأ إلى حيل وأساليب
خفية للتحايل على القانون .

كيف نمنع التحايل على المجلس الحسبى (٩١)

يقول المحرر : التقينا مع عديد من النساء والرجال بمقر النيابة العامة . ودار
الحوار حول طرق التحايل على المجلس الحسبى لأكل أموال القُصر . وكانت النماذج
الآتية :

١ - قال لى أحد الرجال : إن له أربعة أحفاد قصر وقد توفى والدهم
ووالدتهم فى حادث ودخل جدهم « لعله جدهم من جهة الأم » شقتهم قبل إبلاغ
النيابة واستولى على عقود عقارات كان يملكها والدهم ومبالغ تصل إلى ٢٠ ألف جنيه
عشرون ألف جنيهًا ثم أنكر أنه أخذ شيئاً بل ورفض الإنفاق عليهم .

(*) سورة النساء : الآية (١) .

(٩١) هذه الفكرة مقتبسة من جريدة اللواء الإسلامى عدد يوم الخميس ٢١ من محرم
سنة ١٤٠٧ الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٧٦ .

٢ - أرملة صاحب مصنع توفى زوجها ، وترك ستة أطفال تقول : إن مدير المصنع حاول بعد الوفاة أن يسرق أرباح المصنع بل زور عقوداً تفيد أن المتوفى باع المصنع له .

٣ - أم لها تسعة أطفال تشكو ولدها البالغ قانونياً وتقول : إنه حاول الاستيلاء على ميراث أشقائه القصر بتحرير عقود مزورة له ... ورفض أن يعطيها نفقة شهرية للإنفاق على أشقائه .

إلى جانب هذا يقول المستشار سلامة محمد شاهين المحامى العام بـنيابة القاهرة للأحوال الشخصية :

« إن هناك صورا عديدة لمحاولات الاستيلاء على أموال القصر دعامتها : عدم إبلاغ نيابة الأحوال الشخصية عند الوفاة للولاية على المال ، وفى هذه الحالة ينعدم الإشراف على حال القصر ، ويكون ميسوراً لأى طامع ، ومن هذه الصور أن القاصر قد تكون لديه قطعة أرض مع إخوته البالغين بدون عقود تسجيل لا تدخل أصلاً فى ميراث الأب المتوفى ، فيدخلون جزءاً منها فقط ويضيع الجزء المتبقى ، وأحياناً يؤول إلى القاصر مال من أمه المتوفاه ويشرف الأب على هذا المال ولا يبلغ النيابة عنه وبعد ذلك يتصرف فيه لزوجته الأخرى وأولادها .

ويضيف المستشار : إن هناك صورا أخرى للتحايل ومنها أن المحكمة تلزم الوصى بتقديم كشف حساب عن نتيجة إدارته للأحوال وتسليم ريعها ... ولكنه يماطل المحكمة فى تقديم هذا الريع لأنه يستغله فى تجارته الخاصة التى تدر عليه أرباحاً .

وهناك طريقة أخرى للتحايل وهى الحصول على توقيعات أو تنازلات من القاصر عن أمواله بدون علم النيابة ويستغل فيها ضعف القاصر أو جهله أو طيشه .

علاج الشرع لهذه الحالات

يقول المحرر : عرضنا هذا الأمر على العلماء فقال الدكتور : محمود شوكت أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون وعميدها السابق بأن الاعتداء على أموال اليتامى محرم شرعاً وذلك لضعفهم وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم ولذلك نزلت الآية الكريمة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٩٢) .

وقد حث الإسلام على بر اليتامى في قوله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وضم أصبعيه السبابة والوسطى » .

الأكل بالمعروف

ويؤكد محدثنا أن الأوصياء على اليتامى إن كانوا فقراء يحل هم أن يأخذوا من مال اليتيم كأجر النفقة على أنفسهم ، وإذا كانوا أغنياء يجب عليهم أن يمتنعوا عن ذلك ، لقول الخالق جل وعلا :

﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٩٣)

والمقصود بالمعروف هو الكفاية التي تكفيه فقط .

(٩٢) سورة النساء : الآية (١٠) .

(٩٣) سورة النساء : الآية (٦) .

عادة ذميمة :

هناك عادة تسود بعض شرائح المجتمع وينكرها الإسلام : وهى عدم الإبلاغ عن ورثة وأموال الشخص المتوفى والصمت فى هذه الحالة يعتبر مخالفة شرعية ، وهؤلاء الذين يستبيحون لأنفسهم التصرف فى أموال القصر الضعفاء الذين لا حول لهم ولا طول إلا بالله ، إنما يرتكبون خطيئة عظيمة وإثماً مبيهاً .

دعوى الحسبة :

ويلتقط أطراف الحديث محمود على رئيس قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون ويضيف أنه فى حالة تلاعب الوصى بأموال اليتامى على كل مسلم يعرف هذا التلاعب أن يبلغ المسئولين عن هذا الوصى ويشهد أمامهم بذلك تقرباً لله وذلك محافظة على أموال اليتامى حتى لا يترك مال القصر مستباحاً لذوى النفوس الضعيفة وهذا ما يسمى بدعوى الحسبة ، والذي يعرف هذا التلاعب ولا يبلغ عنه يكون مسئولاً أمام الله بارتكابه هذا الوزر .

الغش والتزوير :

ويؤكد الدكتور محمود شوكت أنه فى حالة تلاعب الوصى بمال القاصر بأن يوقع القاصر على شئ لا يدرك ما يحتويه مثل عقود البيع أو الإيجار وهذا يعتبر منهياً عنه شرعاً لأنه غش وتزوير ، ومن حق الصبى فى هذه الحالة أن يرفع دعوى أمام المحكمة لإبطال هذا العقد لأنه وقع على شئ يجهله والشرط المهم فى العقود أن يكون العاقد على علم كامل بالعقد وبآثاره ونتائجه أو يتفق الدكتور محمود على والدكتور محمود شكوت فى أنه يجب على الوصى ألا يمس مال اليتيم إلا بالخير ، وما ليس فيه خسارة فإذا تصرف فيه بشئ يضره فإنه يكون قد أجرم بتبديد هذا المال ويستحق العقوبة التى تقدرها المحاكم وقد تكون السجن ودفع الأموال التى تبذرت .

الاتجار بمال القاصر :

س : إن البعض يعتبر استغلال أموال القاصر في التجارة شيء لا يحرمه الإسلام فهل هذا صحيح ؟

يجيب الدكتور محمود على فيقول :

إن استغلال أموال القاصر في التجارة يعتبر حراماً كبيراً وإذا انتشرت هذه العادة فإنها تعود بالشر على من يفعلها وإذا لم نذكر العقاب في الدنيا والآخرة فتذكر أن الوصي مهياً لأن يموت ويترك ذريته ضعافاً في حاجة إلى رعاية فيأتي وصي آخر مثله ويتلاعب بمال أطفاله يقول تعالى :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ... ﴾ .

انتزاع الوصاية :

وقد اتفق العلماء على أن الذي يأكل أموال اليتيم تنزع منه الوصاية ولا يصلح أن يكون وصياً شرعاً .

ويقول الدكتور عبدالمنعم نجم الدين أستاذ الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر : إن الجد الذي يأخذ بأكثر من نصيبه في ميراث ولده يغتصب أموال أحفاده بالباطل . إن هذا الحق سينتقل إلى قوم ليس لهم فيه حق .

وأقول للجد الذي ينكر على زوجة ابنه المتوفى الحصول على ميراثها الشرعي والصرف عليها هي وأطفالها خوفاً من أن تتزوج أو شعوراً بأن مال ابنه هو ماله وحده وليس مال القصر هذا جشع وإن الله قد توعد بعذاب شديد في الدنيا والآخرة لمن فعل ذلك .

سلييات فى طريق معاملة اليتيم

[١] التبنى :

من السلييات التى يقع فيها الناس فى معاملة اليتيم « التبنى » لأن بعض الناس قد يفهم هذا الحديث النبوى « من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ... » فهماً غير سليم فيقدمون على أمر يحسبون أنهم مصيبون وإنما هم بذلك قد ارتكبوا خطأ عظيماً وظلماً ميبناً هذا الخطأ هو التبنى بمعنى :

أن ينسب الإنسان اليتيم إلى غير أبويه ويدعوه باسم من تبناه وهذا الفعل يترتب عليه أمور منها :

١ - أن الإنسان قد يخلو بزوجة متبنيه على أساس أنها أمه بينما هى أجنبية عنه لا يجوز لها الخلوة به لحديث رسول الله ﷺ : « لا يخلون رجل بامرأة »^(٩٤) هذا إذا كان المتبنى ذكراً أما إذا كانت أنثى فإنها تخلو بمن تبناها وهو أجنبى عنها .

٢ - ثانياً أن هذا الذى قد انتسب إلى غير أبيه يأخذ ما ليس له بحق فقد يرث مال هذا الرجل وبذلك يكون الذى تبناه قد حرم وارثاً شرعياً من ميراثه الذى أحله الله له ومن نصيبه الذى حدده الله له وأعطى ما ليس مستحقاً وهذا تعدى لحدود الله ومن تعدى حدود الله فهو ظالم لنفسه .

٣ - إن التبنى ادعاء كاذب لأنه كذب فى النسب والكذاب معرض لللعنة الله يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَتَجْعَلُ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٦١] .

والكذب من صفات المنافقين يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون : آية ١] .

(٩٤) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣٠٠٦/فتح) ، ومسلم (٩٧٨) عن ابن عباس مرفوعاً .

وتحت عنوان : « هل يجوز التبني في الإسلام »

قال الشيخ الصابوني^(٩٥) : كما أبطل الإسلام الظهار أبطل التبني وجعله محرماً في الشريعة الإسلامية لأن فيه نسبة الولد إلى غير أبيه وهو من الكبائر التي توجب السخط واللعنة فقد أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً » .

وقال عليه السلام : « من ادعى إلى غير أبيه - وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام »^(٩٦) .

السلبية الثانية :

التفاخر بالأنساب في مجلس يجلس فيه يتيم لا نسب له .

وإن التفاخر بالأنساب عادة جاهلية أبطلها الإسلام وحرّمها تحريماً قاطعاً لأن الفضل ليس بالنسب ولكن الفضل بالتقوى والعمل الصالح يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(٩٧)

الإسلام هو النسب الوحيد الذي يفتخر الإنسان بالانتساب إليه فلا مكان للفخر بالنسب في ظل الإسلام .

إن اليتيم يجد الأمن والأمان في ظل الإسلام فإن الإسلام هو النسب فليس يتيم من استظل بظل الإسلام ولجأ إلى توجيهاته ولكن اليتيم هو الذي حُرِمَ هذه التعاليم الخالدة .

(٩٥) تفسير آيات الأحكام (٢٦٣/١) .

(٩٦) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٤٣٢٦/فتح) ، ومسلم (٦٣) عن سعد وأبي بكر مرفوعاً .

(٩٧) سورة الحجرات : الآية (١٣) .

لا يتم في ظل هؤلاء النسوة

من النساء من قامت على تربية أبنائها خير قيام وأزالت عن أبنائها مرارة اليتيم فقامت بدور الأب بجانب دور الأم وزودت أبنائها بأحسن التوجيهات فدخلوا التاريخ بسبب تنفيذ توجيهات الأم ونسوق بعضاً من هذه النماذج .

(١) نسيية بنت كعب المازنية :

هذه المرأة التي أرضعت أبنائها البطولة ، لا يجهل أحد موقعها يوم أحد ، فعندما انشغل المحاربون بجمع الغنائم ، وترك الرماة أماكنهم ، واضطربت صفوف المسلمين ، وأذيع في هذه اللحظة من بعض المنافقين أن النبي ﷺ قد استشهد ، وعند ذلك بلغت القلوب الحناجر ، وتزلزلت أفئدة الرجال ، عند ذلك ظهرت بطولة هذه المرأة ، فظلت تقاتل بين يدي رسول الله ﷺ ، لا تبالي بوابل السهام التي تنصب عليها من كل جانب ، حتى أصبح جسدها يقطر دماً من اثني عشر جرحاً فيه ، وتظل هكذا ثابتة متماسكة حتى رآها النبي ﷺ والدم ينزف من وجهها ، فنادى أحد أولادها قائلاً له « أمك أمك » أغضب وجهها بآرك الله فيكم من أهل بيت .

هذه المرأة المجاهدة ننظر كيف كان تأثيرها في أبنائها ، إن التاريخ ليقف مرهف الآذان لينظر إلى هذا البطل الذي أرضعته أمه لبن البطولة ، وظلت ترعى عود بطولته حتى بلغ مبلغ الرجال فمع هذا الموقف بعد وفاة النبي ﷺ حدثت فتن كثيرة بين المسلمين فمنهم من ادعى النبوة مثل مسيلمة الكذاب ، وقد أرسل المسلمون حبيب ابن نسيية إلى مسيلمة رسولاً فما كان من مسيلمة إلا أن قبض على حبيب وأوثقه ، وجعل يقول أفتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فيقول : أفتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ ، فظل مسيلمة يقطع جسده عضواً عضواً ، كلما قال له ما قال كلما قطع عضواً سألته مثل هذا السؤال ، وحبيبٌ مُصِرٌّ على مبدئه ، فمن الذي يستطيع أن يفعل ذلك غير ابن أم عمارة ؟ فلقد

ترى في مدرسة أمه الباسلة ، ننظر هل انتهت رسالة نسيبة عند هذا الموقف لا . بل إن هناك صفحات لاتزال باقية من سجل بطولة هذا البيت !! .

لقد علمت نسيبة ما حدث لولدها فصبرت واحتسبته عند الله ، ولكنها نذرت لله أن تشهد مقتل مسيلمة وتشارك فيه ، وسار جيش خليفة رسول الله ﷺ إلى بنى حنيفة ، ليقضى على دعوة مسيلمة الكذاب ، خرج فيه عبدالله بن زيد وأمه أم عمارة وكانت تبلغ من العمر أكثر من ستين عاما ، وقامت الحرب وحمل جيش مسيلمة على المسلمين في البداية ، ولكن خالداً استحث عزيمة المسلمين فأقبلوا من كل جانب وتذكرت أم عمارة جهادها القديم ، وظلت تقاتل حتى قطع ذراعيها ، دون أن تحفل بشيء . حتى وصل المسلمون إلى مسيلمة الكذاب ، وانقض عليه المسلمون وفي مقدمتهم ابنها عبدالله يثار لدينه ثم لأخيه ، وتوفيت بعد ذلك وبقيت رمزاً للبطولة ، وبقي ابنها عبدالله يجاهد في جميع المواقف ، ويقف بجانب الحق حتى استشهد هو الآخر ، وهكذا ظل أبناء نسيبة مدرسة للبطولة والأبطال وذلك بفضل التربية الحكيمة التي غرستها تلك المرأة والأم المجاهدة في سبيل دينها .

(٢) ثَمَاضِر بنت عمرو بن الحارث « الخنساء »

هذه السيدة التي بدأت حياتها بداية جاهلية وعاشت في ظل هذه العادات وهذه التقاليد تفعل مايفعله الجاهليون تندب الموقى من أهل بيتها حتى أشرقت شمس الإسلام ، وظهرت دعوى الحق تبارك وتعالى ، وارتفعت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، وفتح المسلمون مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ودخلت هذه السيدة الإسلام ، وهاجرت لتلحق بالنبي ﷺ بالمدينة ، وبايعته معلنة إسلامها ، وكانت تشارك في كثير من الغزوات ، رغم كبر سنها ، وكانت توجه أولادها توجيهها حكيما ، تقدم لهم نصحا سديدا ، وما كاد هؤلاء الأولاد يبلغون مبلغ الرجال حتى دفعت بهم إلى صفوف المجاهدين .

وجاءت حرب القادسية ، وكانت تعلم خطر هذه الحرب فجمعت أولادها تشد من ساعدهم ، وتقوى من عزيمتهم ، وتدعوهم للمزيد من التقدم للحصول على النصر الأكبر ، فكان مما قالت لهم من كلام ينطق بالحكمة ويفيض بالبيان : « يا بني إنكم بنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ويعلم الله أنى ما خنت أباكم

ولا لوئت نسبكم » ثم قالت ما معناه : « فإذا رأيتم الحرب فثبوا إليها مقبلين غير مدبرين » فذهب الأولاد إلى المعركة مزودين بهذه النصيحة الغالية وتقدم الجند أجمعين مهللين مكبرين ودوت كلمات الله أكبر ودارت رحى الحرب وظلت صامدة حتى جاءها من ينعيا أولادها جميعاً واحداً بعد الآخر فكان مما قالت حينئذ بلغها ذلك : « الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم وأرجو أن يجمعنى الله بهم فى مستقر رحمته » .

فهذه الأم صنعت من أبنائها أبطالاً بحسن تربيتها ، وهكذا فلتكن النساء .

(٣) أم توصى ابنتها عند الزواج (٩٨)

خطب عمرو بن حجر ملك كندة أم لإياس بنت عوف بن مسلم الشيباني ، ولما حان زفافها إليه خلعت بها أمها أمانة بنت الحارث فأوصتها وصية تبين أسس الحياة الزوجية السعيدة وما يجب عليها لزوجها مما يصلح أن يكون دستوراً لجميع النساء فقالت : « أى بنية إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيباً » فكونى له أمة يكن لك عبداً وشيكاً ، واحفظى له خصلاً عشراً تكن لك ذخراً :

أما الأولى والثانية :

فالتخضوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة :

فالتفقد لموضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيّب ريح .

(٩٨) تحفة العروس « أو الزواج الإسلامى السعيد » ص ٩١-٩٢ لمحمود مهدى
الاستانبولى .

وأما الخامسة والسادسة :

فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة :

فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشر :

فلا تعصين له أمراً ولا تفشين له سراً فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً .

وهكذا فإن مثل هؤلاء النساء لا يعانى من تربى في حجرهن مرارة اليم لما يمتزن به من أسلوب تربوى حكيم .

« الأحق بحضانة الطفل »

ورد في كتاب المغنى^(٩٩) تحت عنوان من أحق بكفالة الطفل « كفالة الطفل وحضانته واجبة ، لأنه يهلك بتركها فيجب حفظه عن الهلاك كما يجب الإنفاق عليه ، وإنجاؤه من المهالك ، يتعلق بها حق لقربته ، لأن فيها ولاية على الطفل واستحقاقه له ، فيتعلق بها الحق ككفالة اللقيط ، ولا تثبت الحضانة لطفل ولا معتوه لأنه لا يقدر عليها ، وهو محتاج إلى من يكفله فكيف يكفل غيره ، ولا الفاسق لأنه غير موثوق به في أداء الواجب من الحضانة ، ولا حظ للولد في حضانته لأنه ينشأ على طريقته » أ.هـ .

(٩٩) المغنى لابن قدامة (٦١٢/٧) .

نستنبط من هذا أن الكفيل للطفل لابد وأن يكون عاقلاً فلا تصح لطفل ولا معتوه ، لأن في ذلك عجز عن التوجيه فينشأ الطفل نشأة ينقصها التوجيه السديد والنصح الحكيم ، ويكون مآله إلى الضياع من الناحية البدنية والناحية النفسية .

ومن شروط الكفيل أن يكون أميناً على تربية الطفل ، فلا يصح أن يكون فاسقاً لأنه إما أن ينهب مال الولد ، وينفقه في ملذاته ، ويخترع لذلك الحيل المتعددة ، وإما أن يوجه الطفل توجيهاً خاطئاً ، فينشأ الطفل نشأة غير صالحة ، وبذلك يعرضه للانحراف عن طريق دينه .

وفي ص ٦١٣ ، ٦١٤ يقول نقلاً عن ابن القاسم « والأم أحق بكفالة الطفل والمعتوه إذا طلقت » ويقول تعليقاً على ذلك : « وجملته أن الزوجين إذا افترقا ولهما ولد طفل أو معتوه فأمه أولى الناس بكفالته إذا كملت الشرائط فيها ذكراً كان أو أنثى وهذا قول يحيى الأنصارى والزهرى والثوري ومالك والشافعي وأبي ثور وإسحق وأصحاب الرأي ولا نعلم أحداً خالفهم والأصل فيه ما روى عبدالله بن عمرو بن العاص « أن امرأة قالت : يا رسول الله إن ابني هذا كانت بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري حواء وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني فقال رسول الله ﷺ « أنت أحق به ما لم تتزوجي » ويروى أن أبا بكر الصديق حكم على عمر بن الخطاب بعاصم لأمه أم عاصم وقال : « ريجها وشمها ولطفها خير له منك » ولأنها أقرب إليه وأشفق عليه ولا يشاركها في القرب إلا أبوه .

ثم يقول ابن قدامه : « وإذا بلغ الغلام سبع سنين خير بين أبويه فكان مع من اختار منهما » .

ثم يقول في ص ٦١٥ « ولنا ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ « خير غلاماً بين أبيه وأمه » رواه سعيد بإسناده والشافعي ، وفي لفظ عن أبي هريرة قال : « جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : « يا رسول الله إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بشر أبي عتبه وقد نفعتني فقال له النبي ﷺ : « هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيد أيهما شئت » فأخذ بيد أمه فانطلقت به » وفي ص ٦١٩ ذكر ابن قدامه :

« فإن لم تكن أم وتزوجت الأم فالأب أحق من الخالة » .

« في هذه المسألة فصلان : أحدهما : أن الأم إذا تزوجت سقطت حضانتها قال ابن المنذر : أجمع على هذا كل من أحفظ عنه من أهل العلم قضى به شريح وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي » « وهذا هو الرأي الصحيح لقول رسول الله ﷺ : « أنت أحق به ما لم تتزوجي » .

يقول ابن قدامة في نفس الصفحة : ولأنها إذا تزوجت اشتغلت بحقوق الزوج عن الحضانة فكان الأب أحفظ له ولأن منافعها تكون مملوكة لغيرها فأشبهت المملوكة « فقول رسول الله ﷺ » أنت أحق به ما لم تتزوجي إعجاز بليغ صدقته التجربة فلقد نشرت جريدة الأخبار الصادرة في ١١ فبراير ١٩٨٥ م « رفض تلميذ بالإبتدائي شراء بعض زجاجات البيرة لزوج أمه فقامت الأم مع زوجها بضرب الطفل وكيه بالنار ، وجهت النيابة تهمة التعذيب للأم وزوجها وأفرجت عنهما بضمان مالي ٢٠٠ جنيه وأمر وكيل نيابة الشراية بتقديمهما إلى المحاكمة » .١ هـ نقلاً عن حولية كلية أصول الدين بالمنوفية .

فعلى هذا ليس من حق الأم أن تطالب بحضانة ابنها إذا تزوجت ، لأن الأم مع زوجها ، كما قال رسول الله ﷺ : « وإنما النساء عندكم عوان أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » فإذا أخذت الأم الولد في حالة نكاحها فإنه يكون في رعاية زوج الأم وزوج الأم في الغالب ليس أميناً على تربية الطفل وخصوصاً عندما ينجب من أمه فإنه يعامل هذا الطفل أقل من معاملة إخوته وعند ذلك تنشأ العقد وتضطرب شخصية الطفل مما يجعله ينظر إلى الدنيا بمنظار قاتم .



هناك يتم رغم حياة الوالدين

فقد يكون الوالدن على قيد الحياة ومع ذلك فترى الأطفال وكأنهم في عداد الأيتام وذلك نتيجة انشغال الوالدين بالناحية المادية عن الاهتمام بالأولاد والقيام على تربيتهم وتوجيههم وفي زعمهم أنهم بسلوكهم هذا يوفرون للأولاد حياة كريمة ومستقبلاً مشرقاً ولكنهم بذلك قد أخطأوا الطريق . لأنهم أهملوا الناحية النفسية للطفل التي هي أهم من الجانب المادى متغافلين قول رسول الله ﷺ : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١٠٠) .

فالانشغال عن الأولاد يجعلهم بمنزلة الأيتام وكما يقول الشاعر :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من	هم الحياة وخلفاه ذليلاً
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما	وبحسن تربية الزمان بديلاً
إن اليتيم هو الذى تلقى له	أماً تخلت أو أباً مشغولاً

والتربية حينما تكون فى ظل الدين فإنها تكون تربية مثمرة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وكما يقول القائل متحدثاً عن أثر تربية الشباب على دين الله .

بالدين يسمو المرء للعلياء	وينال ما يرجو من النعماء
الدين نور والجهالة ظلمة	شتان بين النور والظلماء
إني أرى نوراً يشع ضياؤه	من خلف تلك الأوجه السمحاء
وأكاد أسمع زحفهم وهديرهم	يعلو هناك بموطن الإسرائ
أبناؤكم لا شئ أغلى منهم	لا شئ يعدلهم من الأشياء
لا تتركوهم للضياع فريسة	ترك الشباب أساس كل الداء
الفرد إن يهمل يهن فى عصرنا	إذ لا مكان اليوم للضعفاء

(١٠٠) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٧١٣٨/فتح) ، ومسلم (١٨٢٩) عن ابن عمر مرفوعاً .

وهناك من يحمل أعلى الشهادات العلمية ، وينظر الناس إليه على أساس أنه قد أعطى قسطاً وافراً من التربية ، ولكنه داخل نفسه يعانى ألماً حاداً نتيجة أنه يبحث عن شيء مجهول في داخله يبحث عن ذاته الضائعة لأنه لم ينل حظه الكامل من الرعاية التى أمر الله بها والتى هى للإنسان بمنزلة الماء والهواء والشمس للزرع . ولا ينمو الزرع ولا ينبت بدون هذه العوامل وفى العدد الخامس من حولية كلية أصول الدين والدعوة والإسلامية ، ص ١٠١ بحث للدكتور شحات حسيب الفيومى ذكر فيه أسباب انحراف بعض الشباب . وذكر لذلك أسباب نذكرها باختصار :

السبب الأول : ضعف الرباط البشرى بين الأبوين وبين ابنيهما .

ويرجع ذلك إلى عدم إعطاء الطفل حقه من الرضاعة فمن أجل حفاظ الأم على صحتها وأناقته حرمت الابن من حقه الفطرى ، وباتت تغذية بالألبان المجففة ، وقد يرجع حرمانه من الرضاعة إلى عمل الأم من التاسعة إلى الثانية بعد الظهر ، لا ترى الأم ولدها فى تلك الفترة لبعد ما بين العمل والمنزل ، تدعه فى دور الحضانة ففىها تهد الأمهات الحنان ، ولقد نشأت مقابر الحنان « دور الحضانة » تقبل من عمر ثلاثة أشهر إلى أربع سنوات وعند رواح الأم إلى بيتها تأتى منهكة من مشقة الطريق ومسئولية العمل الفكرية والجسمانية ، فلا تستطيع أن ترعى ولدها حق رعايته ، وقد يرجع الحرمان وعدم الرعاية إلى انفصال الأبوين .

ثم يذكر علاج هذا السبب : فيقول : « ولقد وضع الله سبحانه وتعالى أساساً لهذا الرباط قال تعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرُّضَاعَةَ ﴾ (١٠١) .

فهذه الآية قد اشتملت على أسلوب خبرى تضمن الأمر بإرضاع الأولاد فالأم ترضع اللبن وهو السرسوب مصحوباً بالدفع الذى يفعل فعل السحر فى الارتباط بين الطفل وأمه ، بالإضافة إلى ما يفعله لبنها من تجنب الطفل الأمراض المتباعدة ولقد بينت الآية المدة المثلى فى الرضاعة وهى سنتان كاملتان .

السبب الثانى : سوء معاملة الوالدين للولد .

فقد يسيء الوالدان العلاقة بالولد فيشذان عن الطبيعة البشرية .

علاج هذا السبب :

لقد جعل الله الوالدين رحمة للابن ، فهو لا يملك شيئاً سوى والديه ، يجد فى كنفهما الروح والريحان ، ويشعر فى وجودها بدفع الحياة ، وفى عدمها بالمرارة ، وشدة الحرمان ، يعبر عن ظلها الأشعث بن قيس حين علم بخلاف وقع بين معاوية وولده يزيد فأرسل إليه معاوية ، فلما وصل قال له يا أبا بحر . ما تقول فى الولد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا ، وعمار ظهورها ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماة ظليلة ، بهم نصول على كل جليلة : فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فارضهم ، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ، لا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك ... إلخ .

السبب الثالث : سوء تربية الأبناء .

يقصر بعض الآباء والأمهات فى تربية الأبناء فيتركونهم يسيرون فى حياتهم دون تقويم ، قوانينهم أهواؤهم ولذتهم فى عبثهم فيدرجون على ما تعودوا عليه من التسبب والاعتداء على الوالدين ، ثم بعد ذلك يذكر الباحث الآية الكريمة التى فيها وصية لقمان لولده ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ... ﴾ (١٠٢) .

(١٠٢) سورة لقمان : الآيات (١٣-١٩) .

في هذه الآية الكريمة عدة من المعاني العظيمة منها :

- أولاً : دعوة الوالد ولده إلى التوحيد وتنفيذه من الشرك .
- ثانياً : دعوة إلى الإحسان إلى والوالدين وبرهما .
- ثالثاً : لفت انتباه ولده إلى علم الله فعلم الشهادة وعلم الخفاء في علم الله سواء .
- رابعاً : ربطه بالله تعالى برأس الطاعات وهي الصلاة فيها يرفع العبد إلى أعلى الدرجات وتحط عنه السيئات .
- خامساً : أمر لابنه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .
- سادساً : أمر الابن بالصبر لأنه خير دواء لآلام الحياة وكل سلاح لدفع الشيطان .
- سابعاً : نهاه عن الكبر وأمره بالاعتدال في السير .
- ثامناً : أمره أن يخفض صوته وأن يكتر من الصمت في موضعه .

السبب الرابع : مساهمة وسائل الإعلام في نشر أساليب الجريمة وعلاج هذا السبب .

أن القائمين على هذا البلد إذا أرادوا مجتمعاً نظيفاً خالياً من الجريمة أن يضعوا لوسائل الإعلام رجالاً لا يخافون إلا الله يميزون بين الحلال والحرام ، ويفرقون بين المكروه والمباح ، ففساد وسائلهم تفسد أمتهم ، وعليهم أوزارها وبصلاحهم تصلح ولهم أجرها .

السبب الخامس :

يُعد الناس عن الدين: فالبشرية تعيش حياة اعترتها حال من انعدام الوزن واضطراب في السلوك فالمادية غشيتهم وجانبهم الروحي أصبح متعطشاً إلى قوانين السماء .

وعلاج هذه الظاهرة اللجوء إلى الدين ففيه حل لكل مشاكلنا .

السبب السادس : التفكك الأسرى :

فحين ينفصل الزوجان يكون الأولاد هم الضحية وهناك الأمثلة على ذلك كثيرة . ١. هـ من حولية أصول الدين باختصار .

فهذا اليتيم الذى حدث رغم وجود الوالدين سببه عدم التمسك بتعاليم الدين وعدم لجوء الناس إليه وإلزامهم به فى حل مشاكلهم ، فالإسلام قد وضع لكل إنسان حقه سواء فى المجتمع المصغر الذى هو الأسرة ، أو فى الأسرة الكبيرة التى هى المجتمع .

إننا نسميه يتماً لأن اليتيم هو الانفراد وإذا أحس الطفل بانفراده ووحدته رغم وجود الوالدين على قيد الحياة فهو يتيم أيضاً . وتربية الأولاد يجب أن تكون على هدى الشرع الحكيم ففيه الهداية وفيه الكفاية لأنه من عند الله الحكيم نزل به وحيه على رسوله الكريم حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١٠٣) .

فهللما نستلهم التوجيهات الرشيدة من شرع الله الحكيم .

يقول الإمام الغزالي فى كتابه إحياء علوم الدين :

الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عودَ الخير وعلمه نشأ عليه وسلم فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عودَ الشرِّ وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له .



(١٠٣) سورة الأنعام : الآية (٣٨) .

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الناشر
٥	مقدمة
٧	من هو اليتيم ؟
٨	تربية اليتيم نفسياً
٩	معاملة اليتيم من الناحية المادية
١١	الاتجار فى أموال اليتامى والزكاة فيها
١٣	الاهتمام بأموال اليتامى
١٧	عاقبة من يأكل مال اليتيم
٢١	من أخلاقيات الجاهلین والمكذبین يوم الدين
٢٣	حق الأئشى اليتيمة
٢٥	فضل رعاية اليتيم من السنة النبوية
٢٧	البيت الذى يضم يتيماً من أفضل البيوت
٢٨	العطف على الأيتام يورث القلوب رحمة
٣٠	نظرة الشرع لليتيم إن كان محتاجاً
٣٤	السنة الفعلية فى معاملة اليتيم
٣٧	المجتمع المتكامل . صورة من خلافة عمر بن الخطاب ؟
٤٠	كيف تكون التربية ؟
٤٣	كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك ؟
٤٦	اليتيم بين الشريعة والقانون

الموضوع	الصفحة
سلبيات في طريق معاملة اليتيم	٥١
(١) التبنى	٥١
(٢) التفاخر بالأنساب في مجلس يجلس فيه يتيم لا نسب له	٥٢
لا يتم في ظل هؤلاء النسوة	٥٣
(١) نسيبة بنت كعب المازنية	٥٣
(٢) تماضر بنت عمرو بن الحارث «الخنساء»	٥٤
(٣) أم توصى ابنتها عند الزواج «أمامة بنت الحارث»	٥٥
الأحق بحضانة الطفل	٥٥
هناك يتم رغم حياة الوالدين	٥٩
السبب الأول : ضعف الرباط البشري بين الأبوين	
وبين ابنهما	٦٠
السبب الثاني : سوء معاملة الوالدين	٦١
السبب الثالث : سوء تربية الأبناء	٦١
السبب الرابع : مساهمة وسائل الإعلام في نشر أساليب	
الجريمة وعلاج هذا السبب	٦٢
السبب الخامس : بعد الناس عن الدين	٦٢
السبب السادس : التفكك الأسري	٦٣

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩٦١ / ١٩٩١

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-5211-11-5

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ب . ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلکس . ٢٤٠٠٤ DWFA UN